كلمة الى مؤتمر وزراء الخارجية العرب بتونس

نريد الإجماع والحسم

محمد بن مبارك آل خليفة — سعدون حمادي — احمد خليفة السويدي — صباح الاحمد الجابر — سعود الفيصل — فؤاد بطرس

فاروق قدومي — عبد العزيز بوتفليقة — عبد الحليم خدام — الحبيب الشطي — اسماعيل فهمي — محمود رياض

بقلم : صبري أبو المجد

غدا السبت ١٢ نوفمبر ١٩٧٧ ،وفي توتس الحبيبة الى قلب كل عربي ، ينعقد اجتماع وزراء الخارجية العرب ، ومن المؤكد ، ان كل الوزراء سوف يحرصون على حضور هذا الاجتماع، وحتى مساء الثلاثاء الماضي لم يعتذر أحد عن عدم الحضور : كل القرائن، والدلائل ، والشواهد ، توحي بأن هذا الاجتماع سيكون من اخطر ، ان لم نقل اخطر اجتماعات وزراء الخارجية العرب : ذلك لانه ينعقد فعلا في مرحلة خطيرة وعصيبة ، يقف فيها العرب ـ كل العرب ـ في مفترق الطرق ، بعد ان وضحت كل الامور، وانكشفت كل النوايا ، وتحددت كل المواقف ، فاما سلام دائم واما حرب ضروس ، لن تقف آثارها عند حدود الشرق الاوسط ، وانما ستمتد ـ بلا شك ـ الى كثير من ارجاء العالم :

جدول اعمال الاجتماع كما اعدته الامانة العامة لجامعة الدول العربية يضم موضوعات هامة وجوهرية لا تحتمل التأجيل وبعضها موضوعات اقل اهمية يمكن ان تترك لاجتماع قادم آخر : من بين الموضوعات ، الهامة والخطيرة ، والجوهرية ـ بلا جدال ـ موضوع الاعداد لمؤتمر القمة العربي الثامن ، جدول اعماله ، اعداده ، تحديد زمانه ومكانه ، واقتراحات عديدة خاصة بدعم التضامن العربي وكذلك موضوع امن البحر الاحمر ، ودعم دوله ، وكذلك موضوع دعم كفاح شعب الصومال الغربي وموضوع ، عقد مؤتمر عربي ، لمعالجة الجوانب الاقتصادية العربية ، ومن بين الموضوعات الاخرى التي تقل في الاهمية عما سبق ، موضوع تعديل ميثاق الجامعة العربية وانشاء محكمة عدل عربية وتشكيل قوات سلام عربية ، واقرار ميثاق الشرف الاعلامي العربي و ٠ و ٠ وهذه الموضوعات رغم اهميتها ، يمكن ان تؤجل ، الى اجتماعات اخرى ، ليتيسر لها الدراسة ، الوافية ، واخطر كل تلك الموضوعات ـ بلا جدال ـ موضوع مؤتمر القمة العربي الثامن : لقد كان آخر مؤتمر قمة هو ذلك ، الذي عقد في الرباط في ٢٨/١٠/٧٤ تحت اسم مؤتمر القمة العربي السابع ، ونحن الآن في اخريات عام ١٩٧٧ : اي مضت ثلاث سنوات كاملة دون ان يلتقي القادة العرب في مؤتمر قمة عربي صحيح انهم التقوا ، في بعض مناسبات اخرى كمؤتمر القمة العربي الافريقي وكمؤتمر القمة الاستثنائي (١٩٧٦/١١/٢٦) ولكنهم لم يلتقوا بعد في مؤتمر قمة عربي عادي تنظمه الجامعة العربية منذ سبتمبر ١٩٧٤ ٠٠ ولسنا بحاجة الى القول ، بان اجتماع اي مؤتمر قمة عربي، ليس هدفا في حد ذاته ،وانما اهم من اجتماع مؤتمر القمة هو ضمان نجاحه ولذلك فان وزراء الخارجية العرب، عندما التقوا في القاهرة في يومي ٣ ، ٤ سبتمبر ١٩٧٧ كان هدفهم الاول البحث عن نجاح مؤتمر القمة العربي ، القادم : لقد ارتاوا ـ ومعهم الحق ، فيما ارتاوه ـ ان الظروف التي تمر بها الامة العربية تستدعي عقد مؤتمر قمة للملوك ، والرؤساء العرب في اقرب وقت ممكن ولكنهم ارتاوا ايضا ـ ومعهم كل الحق . في كل ما ارتاوه ـ ان يسبق ، عقد ذلك المؤتمر تهيئة المناخ الملائم لانعقاده ٠ وتصفية الخلافات بين الدول العربية وتعزيز، التضامن العربي والعمل ، على ان يحضر المؤتمر كل الملوك والرؤساء العرب وان يسبق ، لقاء القمة اجتماع لمجلس الدفاع المشترك ، لتحديد متطلبات المواجهة العربية للعدوان الاسرائيلي والاعداد ، لتحقيق التكامل الاقتصادي العربي ٠

والذي لا جدال فيه ايضا ان الظروف العربية اليوم قد بدات تتحسن الى حد كبير عما كانت عليه خلال الشهور القليلة الماضية لقد خفت حدة الخصومات بين بعض الدول العربية الى حد كبير : تقاربت الآراء في كثير من المسائل ، التي كان الخلاف حولها حادا ، وعنيفا ، وجد ـ وبحق ـ المناخ الملائم ، لعقد مؤتمر قمة عربي ناجح ٠٠ صحيح ان مؤامرات العدو قد تضاعفت واشتدت في الفترة الاخيرة عن ذي قبل لخلق جو متوتر يمكن استغلاله لتمزيق ، وحدة الصف العربي ، وصحيح ان خصوم العرب في الداخل وفي الخارج ، لايهدأون في هذه الايام اذ يرتكبون كل ما من شانه الايقاع بين بعض الدول العربية وبعضها الآخر ، ولكن كل ذلك ، بل واكثر من ذلك ، لا يمكن ابدا ، ان يخيفنا او يزعجنا عل الاطلاق : اننا كشعب نعرف جيدا ـ على ضوء معرفتنا بأنفسنا ، وعلى ضوء دراستنا ، لتاريخنا ـ انه لا خوف ابدا على وحدة العمل العربي ولا خوف ابدا على حاضر التضامن العربي ، ومستقبله ، بل اننا نعرف جيدا واكثر من غيرنا انه عندما تحتدم الازمات ، ويشتد الصراع بيننا وبين العدو ، تزول ، وبسرعه مذهلة كل الخلافات والاختلافات التي بيننا ، وانه لم يوجد ولن يوجد في المستقبل اية خلافات، او اختلافات عربية يمكن ان تكون مستعصية على الحل ،وكلنا نذكر انه الى فترة قريبة جدا ، كان كثيرون يرون ان بعض الخلافات ، والاختلافات العربية قد وصلت الى مرحلة خطيرة تجعل القضاء عليها من الامور المستحيلة ٠

ولكن لقاء ، القادة العرب ، كان يقضي عليها كلها في دقائق :ان وحدة الصف العربي ، ووحدة ، الهدف العربي ، ووحدة ، العمل ، العربي هي دائما الاصل ، واي خلاف ، او اختلاف يطرأ عليها ، هو الاستثناء ، وشعبنا العربي ، بوعيه واصالته ، وايمانه بعروبته قادر باستمرار على ان يعود ، الى الاصل ، دائما ، وبسرعة مذهلة :

مذهلة للعرب أنفسهم كما هي مذهلة ايضا لغير العرب

والذي لاجدال فيه ايضا ، وانا نعيش اليوم ـ حقيقة ـ مرحلة خطيرة وعصيبة لا ابالغ ،اذا ما قلت انها من اخطر ، واعنف ، وأشق مراحل تاريخنا المعاصر ، بل انني اردد ان تلك المرحلة تتشبه الى حد كبير المرحلة التي سبقت حرب اكتوبر المجيدة الخالدة ، ان لم تكن اكثر منها خطورة ، واعنف ، ومشقة ، فالعدو اليوم ، لا تحكمه وزاوة مسئولة او يمكن ان تكون في يوم ما مسئولة تقدر الامور حق قدرها او بعض قدرها وانما تحكمه عصابة : عصابة بكل ما في كلمة عصابه من معنى : عصابة لا تتقيد ابدا برأي عام عالمي ، ولا تتقيد ابدا باية قوانين عامة ، او خاصة، كما انها لا تتقيد ، او لا يمكن ان تتقيد بقرارات تصدرها اية منظمات دولية : انها عصابة ، ارتفعت الى منصة الحكم ، فجاة ، وفي ظروف يائسة اكتنفت العدو الاسرائيلي ، هذه العصابة وجدت نفسها ، اشبه بثور هائج ، في مستودع خزف ربما لم يجد ان يحطم غيره على انه اذا لم يجد ما يحطمه فسيحطم نفسه ، قبل ان يحطم غيره : عصابة تعرف جيدا تاريخ اعضائها ، فردا فردا : تعرف الجرائم التي ارتكبتها خلال سنوات طويلة وهي جرائم يندى لها جبين التاريخ البشري كله : عصابة تعرف جيدا انها بسبب يأسها ، وقنوطها ، وعجزها ، وانخفاض المعالم كله من حولها يمكن ان تقدم ، على شيء ما ، اي شيء ، والمرحلة الخطيرة ، التي نجتازها اليوم تتطلب منا حاكمين ومحكومين ان نعي جيدا ، كل ما يحيط بنا من ظروف وكل ما يمكن ان يقدم عليه العدو اليائس من حقائق المرحلة الخطيرة التي تمر بها اليوم تفرض علينا ، ان نتبنى كل ما من شانه بقاء اي خلاف في اجواء السياسة العربية ، يمكن ان يعوق طريق العمل العربي الموحد ، او يمكن ان يستفيد منه العدو المتربص باستمرار لمحاولة اي شقاق في الصف العربي، لانه يعرف جيدا ، انه لن يستطيع النيل منا الا بقدر ما تتاح هنا

الخلافات الداخلية

ونحن نعرف جيدا ايضا ان وحدة الصف لا تتم الا في جو سلام لا توجد فيه خلافات داخلية ، ولا توجد فيه ازمات ثقة بين هذا الرئيس العربي ، او ذاك ، ونحن نعرف ايضا ان كل المؤتمرات العربية ، على مستوى القمة ، وعلى مستوى مجلس الجامعة العربية ، وعلى مستوى الوزراء العرب كانت دائما تضمن الالتزام بانهاء الخلافات العربية ، وتصفية الجو العربي من جميع الشوائب ، ووقف جميع حملات الاجهزة الاعلامية وتوثيق العلاقات بين الدول العربية ، الشقيقة فعلا في التضامن البناء ، ودرء المطامع التوسعية العدوانية التي تهدد العرب ، كل العرب .

تذكر ـ مثلا ـ ان مؤتمر القمة العربي السادس ، الذي انعقد بالجزائر في الفترة من ٢٦ الى ٢٨ـ١١ـ٧٣ قرر انه ادراكا لعظم المسئولية الملقاة على الدول العربية جميعا ، وحدا الظروف القاسية والامكانات العربية بجب بذل كافة الجهود والتماس، تنقية الجو العربي ، وازالة أية خلافات قائمة بين الدول العربية .

تذكر ـ مثلا ـ ان مؤتمر القمة العربي السابع ، الذي عقد بالرباط في ٢٦ـ١٠ـ٧٤ قد جعل من الاسس التي يقوم عليها العمل العربي الموحد تجنيب الخلاف والخلافات الهامشية العربية مما يؤدي الى تركيز الجهود ضد العدو الصهيوني .

بل اننا نذكر جيدا ان مؤتمر القمة العربي في دورته الاستثنائية الاولى في ٢٦ـ١١ـ٧٦ قد رأى فيما يتعلق بدعم التضامن العربي تأكيد التزام الملوك والرؤساء العرب باحكام قرارات مؤتمر القمة ، ومجلس الجامعة ، في هذا الشأن ، وخاصة ميثاق التضامن العربي الصادر في قمة القاهرة البيضاء في ١٥ـ١٠ـ٦٤ ، والعمل ، لوضعها موضع التنفيذ التام الفوري

ولا يخفى على احد ان ميثاق الجامعة العربية نفسه ينص على تسوية الخلافات بين الدول العربية بالتوفيق والتحكيم ، والوساطة ، كما ينص ايضا على الاحترام المتبادل لاستقلال وسيادة جميع الاعضاء وعدم التدخل في الشئون الداخلية لاي منها .

ونحن نعرف ان هناك جهودا كثيرة مكثفة قد بذلت ، وتبذل لازالة آية خلافات عربية ولتصفية الجو العربي من كل ما من شانه اعاقة الجهد العربي الموحد ، كما نعرف ، ان الاقتراحات كثيرة قدمت الى الامانة العامة للجامعة العربية ، لادراجها ضمن اعمال مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذي يجتمع غدا في تونس من بينها ـ مثلا ـ طلب تقدمت به المملكة العربية السعودية في ٢٥ـ٧ـ٧٧ ينص على التالي : تحقيق الانسجام والتعاون العربي في هذه المرحلة الخطيرة والقليل اية صعوبات او خلافات جانبية وضرورة حل هذه المشاكل التالية بروح ميثاق الجامعة العربية فخلق جو من الثقة والاحترام ، التبادل والتعاون الفوري بين الدول العربية في المجالات السياسية ، ومن بينها ايضا الاقتراح تقدمت به الجمهورية العربية السورية الى امانة الجامعة في ١٩ـ١ـ٧٧ بإدخال جدول اعمال مؤتمر القمة العربي الثامن البنود التالية :

● دعم التضامن العربي وانهاء حالة الانقسام العربي ، تقييم الوضع السياسي الراهن وتطوراته الحالية وكيفية مواجهتها وتحديد وسائل العمل العربي المشترك سياسيا وعسكريا واقتصاديا واعلاميا .

ونحن نعرف ايضا ، ان الجماهيرية العربية ، والليبية الشعبية ، الاشتراكية قد تقدمت باقتراحات معاثلة وكذلك منظمة التحرير الفلسطينية والمملكة الاردنية الهاشمية ، والجمهورية العربية اليمنية ، وكلها اقتراحات هامة بناءة تستهدف تنقية الجو العربي من اية خلافات او اختلافات ، وفي نفس الوقت ، نحن نعرف ايضا ، ان بعض الدول العربية ، قد تقدمت الى الامانة العامة لجامعة الدول العربية طالبة ادراج بعض المسائل ، التي يمكن ان تثير بعض الجدل ، او تخلق بعض الحساسيات ونحن نطالب ببحث كل تلك الامور بصراحة وحسم ولا نريد تأجيلها ٠ نحن لا نريد ان نقتحم أقفالا فيجب ان يتناقش وزراء الخارجية وانما نطالب بامر واضح محدد ، هو ان يكون هناك اجماع فيها سوف يتخذ في هذا الاجتماع من قرارات ولن يكون هناك ايضا حسم لكل الامور التي ينبغي حسمها .

ان المطلوب اليوم ، من وزراء خارجية الدول العربية ان يواجهوا المرحلة الصعبة ، الخطيرة بالاجماع ، والحسم ، وبالحلول الجذرية لكل مشاكلنا ..

ان العدو الاسرائيلي ، يبذل قصارى جهده سياسيا ، وعسكريا لكي يلحق بنا هزيمة منكرة ، كتلك التي وقعت في ٥ يونيو ١٩٦٧ ونحن من جانبنا نبذل قصارى جهدنا سياسيا وعسكريا لتحقيق سلام ، عادل في المنطقة والا فاننا ـ ونحن اصحاب حق ، والمبادرة في ايدينا ، كما يقول الرئيس محمد انور السادات ـ يجب ان نصنع اكتوبر جديدا بل نصنع ما هو اروع ، واخلد من اكتوبر عام ١٩٧٣ ٠ والكلمة في هذا الموضوع لوزراء الخارجية العرب ومن بعدهم للملوك والرؤساء العرب